# العرب والمتعربون

سبق لي في احد اجزاء المقتطف يوم تكلمت على كتاب « الاشتقاق والتعريب » ان ذكرت شيئاً يسيراً عن التعرُّب ووعدت ان انتهز فرصة اخرى للبحث في هذا الموضوع المهم وانا انجز الوعد بهذه الكلمة عن العرب والمتعربين لعل بها خدمة للحقيقة والتاريخ

قلت في ما سبق ان تكاثر الامة داعٍ الى منعتها وعصبيتها وفي ذلك من الفوائد الادبية والمادية ما هو غني عن البرهان . وهذا التكاثر او التسلسل « كما يسميه غوستاف لوبون » لا ينحصر بالتوالد بل يكون ايضاً بالتغلُّب والامتزاج لان الامة التي تستولي عليها امة اخرى اكثر منها عدداً واصح مدنية لا تلبث طويلاً حتى تفقد مميزاتها وتندمج بالامة الغالبة وتصبح جزءاً منها في لغتها واخلاقها وعاداتها وحضارتها وفي صغائرها وكبائرها. اعتبر ذلك في الامم التي نسميها بائدة كالفينيقيين والاشوريين وغيرهما فانهُ لم يزل من سلالتهم بقية غُلبت على امرها فامتزجت بالامة الغالبة وتسمت باسمها

ويحسن في هذا المقام ان اذكر كلام جان فينو رئيس تحرير المجلة الباريسية من فصل لهُ تكلم فيهِ عن العناصر يصح ان يكون شاهداً على ما قدمناهُ من كيفية اختلاط عنصر بآخر واتحادهِ بهِ

قال « اذا قلنا اليوم عنصر الفرنسيس فانما نريد البلاد او سكانها كافة وليس الاصل الغالي فقط لان الفرنسيس ليسوا كلهم من عنصر واحد كما يدعي بعضهم بل قد اختلط عنصرهم الاصلي بما لا يقل عن الستين عنصراً منهم الاكتيون والبلجيكيون والالمانيون والاسبانيون واليهود المراكشيون » وغيرهم ممن ذكر

« وما قيل في العنصر الفرناوي يقال في العنصر اللاتيني فان ابناءهُ من اصول متعددة لا من اصل واحد

« وما الالمان الاَّ مزيج من البولونيين والابورتزيين والفاندين وغيرهم من الشعوب السلافية . ولقد قال نيتشه الفيلسوف الالماني ان الجرمانيين الحقيقيين نزحوا عن المانيا . وهذه الكتلة على عزلتها سيفي جزرها لم يخلص دمها بل فيها دم الزنجي والافريقي والروماني والايبري فضلاً عن الفرناوي والالماني وغيرهما ممن امتزجوا حديثاً بالدم الانكليزي

« وهؤلاء اليهود المفتخرون بنقاوة دمهم لا يستطيعون ان ينكروا قلة عددهم عند ما دخلوا فلسطين وانهم ازدادوا هناك ازدياداً عظيماً لما امتزج بهم من العرب والفلسطينيين

والخشبين وغيرهم من الشعوب حتى ان شعباً تركياً باجمعه وهو الخزر تهوّد واصبح جزءاً منهم وان انتشار اليهودية في العالم كله ادخلت فيهم كثيراً من العناصر المختلفة »

وقال في موضع آخر « لقد كان يزعم البعض ان اختلاط شعب بآخر وامتزاجهما يقتضي لهُ مرور عشرة اجيال ولكن شعوب الولايات المتحدة ابطلوا هذا الزعم »

فاكثار عدد الامة بالتغلب والاختلاط يجعل دول الغرب المستعمرة تبذل غاية ما تبلغ اليهِ طاقتها من النفوس والاموال لتدخل من تحكمهُ من الشعوب في عنصرها فهي لا تألو جهداً في تخليقهم باخلاقها وتعويدهم عاداتها واستبدال لغتهم بلغتها حتى اذا فقد هؤلاء الشعوب لغتهم واخلاقهم وعاداتهم الاولى اصبحوا ابناء الامة المستعمرة لان البنوة تكون باللغة والحضارة والاخلاق كما تكون بالتسلسل والتوازن حسبما ذكرنا

هذا ما تعانيهِ الامم في سبيل انماء عددها وتكاثر ابنائها تراهُ كل يوم نُصب عيانا في حين ان امتنا العربية — التي لم تنجُ من الاختلاط الذي وقع لغيرها لان العرب المستعربة وهم ابناء اسماعيل يرجعون الى اصل يهودي — ينشأ فيها الرجل يكون جدهُ السابع او الاعلى منهُ اعجمياً فلا يعرف لهُ غير العربية لغة ولا غير قومها قوماً وقد يصبح فرداً بعلمهِ وعقلهِ ثم هي مع ذلك تتبرأ منهُ وقد كان لها فخر بانتسابهِ اليها كما هو الواجب والمتبع في جميع الامم

هذا سيبويه وغيرهُ الوف ممن نشأ بين العرب وصار من علمائهم ولعل من قبلهُ من آبائهِ نشأ بينهم وهو على ما ارجح لا يعرف لغة غير العربية بها نطق والِف واشتغل واشتهر فهل يصح بعد هذا ان يخرّج مثل سيبويه من العرب وينسب الى الامة التي منها كان جدهُ

وهل يجوز ان نقول عن الدولة الايوبية تلك الدولة القيورة على العرب والعربية المتمسكة بآدابها وآداب قومها واخلاقهم وعاداتهم انها كردية . وجلها ان لم نقل كلها ممن ملكوا زمام الفصاحة وقبضوا على اعنة البلاغة واطلعوا على دقائق العربية وفنونها وضربوا بنصيب وافر من النثر والنظم واشتغلوا بالتأليف والكتابة فهم عن اللغة العربية ادارة الامارات ولا شن الغارات . فمن جملة كبار اهل الادب فيهم الملك الافضل نور الدين علي بن صلاح الدين وهو الذي كتب الى الامام الناصر بعد ان مرجعهُ تممهُ ابو بكر واخوهُ عثمان عن دمشق وكانت اليهِ امارتها

مولاي ان ابا بكر وصاحبهُ عثمان قد هضما بالسيف حق علي
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقي من الاواخر ما لاق من الاول

بل منهم من احب العربية حباً ما بعدهُ زيادة لمستزيد وخدمها خدمة لم يخدمها اياها

الخلفاء والملوك من العرب كالملك المعظم ابن الملك العادل صاحب دمشق الذي جعل مئة دينار لكل من يحفظ المفصل للزمخشري فحفظهُ لهذا السبب جماعة كبيرة . وهذا الملك المعظم هو الذي كتب اليهِ ابن عنين وكان مريضاً

انظر اليَّ بعين مولى لم يزل يولي الندى وتلافَ قبل تلافي
انا كالذي احتاج ما يحتاجهُ فاغنم ثوابي والثناء الوافي

فجاء اليهِ بنفسهِ يعودهُ ومعهُ صرة فيها ثلاثمائة دينار فقال هذه الصلة وانا العائد . فانظر الى فرط ذكائهِ وسعة اطلاعهِ

ومن جملة ملوك الدولة الايوبية مجد الدين ابو المظفر بهرام شاه وهو صاحب ديوان شعر . ومنهم عز الدين فروخ شاه الملقب بالملك المنصور كان عالماً بالادب شاعراً ولهُ كتاب طبقات الشعراء يقع في عشر مجلدات ولهُ تاريخ جمعهُ على السنين في عشر مجلدات ايضاً ولهُ الكتاب المسمى بمظاهر الحقائق وسر الخلائق . وهو كتاب كبير مفيد يدل على فضل مؤلفهِ ومنهم المؤيد صاحب حماه المشهور بابي الفدا لهُ كتاب التاريخ ولهُ كتاب تقويم البلدان هذبهُ وجدولهُ واجاد فيهِ . ولهُ كتاب الموازين

هذا موجز من القول يدل على منزلة هذه الاسرة المباركة من اللغة العربية اما تمسكها بالعادات والاخلاق العربية فقد بلغ منتهاهُ — منها ما حدث لصلاح الدين مؤسس هذه الاسرة الكريمة يوم احضرت لديهِ الاسرى بعد وقعة حطين وبينهم الملك جفريه (Geoffroi) واخوهُ البرنس ارناط وكان صلاح الدين يتم على الاخر منهما غدرهُ بالعهود ومخرقتهُ في بلاد العرب ايام السلم فنذر دمهُ . فلما دخلا عليهِ في جملة الاسرى ناول السلطان صلاح الدين الملك جفري كاساً من الجلاَّب فشرب الملك قليلاً ثم اعطى الكاس لاخاهُ فقال السلطان لترجمانهِ قل للملك انك انت سقيتهُ وليس انا . قصد السلطان بهذا ان لا يلحقهُ خفر الذمة وهي ان العرب كان من جميل عاداتهم وكريم اخلاقهم ان لا يقتلوا اسيراً اكل او شرب من مال من اسرهُ

وهذه دولة بني بويه التي نشأ في ظلها الادباء والشعراء وامدت علماء العرب بالاموال الطائلة فالفوا لها الكتب الممتعة وانشأت دور الكتب العظيمة وبلغ منها الشعراء والعلماء المجيدون وتبوأ قسم كبير منها منزلة رفيعة من اللغة والكتابة مثل عضد الدولة الذي كان يجادل العلماء ويباحثهم في اللغة والنحو والادب وغير ذلك من الفنون العربية وقد صنف لهُ ابو علي الفارسي كتاب الايضاح والتكملة وهو الذي كتب الى ابي منصور التكين التركي متولي دمشق

« غرك عزّك فصار قُصار ذلك ذُلّك فاحش فاحشٌ فعلت فعلّك بهذا تهذا » وهذه الكلمات لا تقرأ الاّ بعد الشكل والضبط والنقط ولو شاءها احد العلماء لأعجزتهُ

فهل يصح بعد ذكر ما تقدم ان نعد مثل هؤلاء النوابغ من غير العرب . وهم انما تعربوا ونالوا ما نالوهُ بفضل العرب والعربية ؟

يذكر الفرنسيس نابوليون في مقدمة رجالهم وهو من غير عنصرهم . ألا يعدُّ الالمان نيتشه في عداد فلاسفتهم وهو من اصل بولوني . ألا يفتخر الاميركان بوشنطون وفرنكلين وغيرهما من رجال اميركا والامة الاميركية بأسرها مجموع عناصر متفرقة . ولو شئنا الاكثار من ذكر الشواهد في هذا المقام لاعوزنا مجال اوسع من هذا . وجملة القول انا كما نعد نابوليون فرنسويًا ونيتشه المانيًا ووشنطون اميركيًا يجب علينا ان نعد بني ايوب وبويه والاسرة العلوية وسيبويه والفيروزابادي وغيرهم ممن لا يأخذهم احصاء عربًا لانهم ابناء العربية لغة واخلاقًا وحضارة

وهناك امر آخر وهو ان الكثيرين من العلماء والادباء والمؤرخين يحسبون الرجل العجمي لمجرد تسميته تسمية غير عربية او نسبته لبلاد غير عربية وهذا خطأ وعدم تثبت لان العرب بعد الاسلام نزلوا الامصار البعيدة فنسبوا اليها ومنهم من اعجبتهم الاسماء الاعجمية فسموا ابناءهم بها كما هو جارٍ ليومنا هذا من تسمية الآباء ابناءهم بالاسماء الافرنجية . واذا ذاكر طائفة من اسماء العرب الذين يظنهم الكثيرون غير عرب

منهم — نفطويه هو ابو عبد الله ابرهيم بن محمد من ابناء المهلب بن ابي صفرة الازدي ولقب نفطًا لدمامته وادمته ثم اتبع طريقة سيبويه في النحو ودرس كتابهُ فاضافوا اليهِ لفظة ( ويه ) فصار نفطويه

والامام احمد بن حنبل يلقب بالمروزي ونسبهُ يتصل بربيعة بن معد بن عدنان

الارجاني — لقب عليه هذا اللقب لانه ولد في بلاد العجم ونشأ فيها ولكن ظلت العربية لغتهُ وهو من سلالة الاسد

ابن راهويه — اسحق المروزي احد فقهاء الاسلام وائمتهم بل هو افقه اهل عصره عاش بين القرن الثاني والثالث من الهجرة وهو عربي يتصل نسبهُ بمالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة

البهاء البخاري — الفقيه الشاعر المشهور وهو من ربيعة

السهروردي — ومن يسمع بالسهروردي بن محمد بن عمويه ويظن انهُ من سلالة ابي بكر الصديق

ابن ماكولا — ومن يقرأ عن الامير ابن ماكولا صاحب الاكمال وغيره من الكتب المفيدة ويعرف انهُ من جرباذقان في نواحي اصفهان ويظن ان نسبهُ يتصل بأبي دلف العجلي

ابن بشكوال — خلف بن بشكوال بن دامة بن داكة القرطبي عالم من علماء الاندلس عاش في القرن السادس للهجرة وهو من الخزرج

التبريزي — ابو زكريا الخطيب التبريزي صاحب الشروحات منها شرح الحماسة وهو ثلاثة اكبر واوسط واصغر وشرح ديوان المتنبي وشرح سقط الزند وشرح المعلقات السبع وغير ذلك من الشروح عربي من بني شيبان

ومن يقرأ عن بني باديس اصحاب افريقية لعهد العبيديين اصحاب مصر وانهم ابناء باديس بن بلكين بن زيري بن زناك بن واشفال بن وزغني بن وتلكي ويظن ان اصل هؤلاء يرجع الى يعرب بن قحطان جد العرب العاربة

الرازي — فخر الدين الرازي فريد عصره ووحيد زمانهِ صاحب التآليف المشهورة في الحديث والقرآن والفقه والطب وهو بعيد الصيت طائر الشهرة ولهُ بضعة عشر مؤلفاً في الحديث والاصول والفقه والطب والنحو والفراسة وشرح كتاب الاشارة لابن سينا وشرح عيون الحكمة وشرح المفصل للزمخشري وشرح الوجيز في الفقه للغزالي وكان يعظ باللسانين العربي والعجمي ولد بالري ( ٥٤٣ — ٦٠٦ ) وهو عربي وتوفي تيمي بكري

وهذا بديع الزمان الهمذاني اما ان يكون عربياً ( لاني لم اجد لهُ في ما وقفت عليهِ نسباً يصح ان يثبت عربيتهُ ) او اعجمياً — فان كان الاول فهو دليل على ان كثيراً من العرب تنوسيت اسماء قبائلها العربية فنسبت الى البلاد التي سكنتها وان كان اعجمياً فان ما حدث لهُ في مجلس الصاحب بن عباد وقد دخل عليهِ شاعر من شعراء العجم فانشد قصيدة يفضل فيها قومهُ على العرب ومطلعها

غنينا بالطبول عن الطلول وعن عنس عذافرة ذمول
فلست بتارك ايوان كسرى لترضخ او لطومل فالدخول

وقول الصاحب لهُ : يا ابا الفضل اجب عن ثلاثة ادبك ونسبك ودينك فاندفع يقول — مجيباً الشاعر العجمي

اراك على شفا خطر مهول بما اودعت لفظك من فضول
تريد على مكارمنا دليلاً متى احتاج النهار الى دليل

دليل على ان المتعربين اصحبهم ما للعرب وعليهم ما عليهم اذا دافعوا عنهم فانما يدافعون عن انفسهم

ونكتفي بسرد ما ذكر لان جل ما يرمي اليهِ هو ان يسوق غرس هذه الامة العربية ويقو بعددها ويعلم الناطقون بالضاد من لا يمتُّون الى العرب بصلة رحم ان اللغة كافية لان تجمع بينهما جمعاً لا انفكاك لهُ ان شاء الله عبيه لبناق عارف النكدي

# النحاس وامزجتهُ وبحث لغوي

اقتطفنا اكثر ما يلي عن النحاس وامزجتهِ من خطبة الرئاسة التي القاها الاستاذ وليم غولند في نادي المعادن ببلاد الانكليز

حينما اكتشف الناس النحاس وكيفية مزجهِ بغيرهِ من المعادن وعمل الادوات منهُ شرعوا في العمران الحقيقي الذي نمت دوحتهُ رويداً رويداً الى ان بلغ ما بلغهُ في العصر الحاضر . وكانوا قبل اكتشافهِ يصنعون ادواتهم واسلحتهم من الصوان ( او الظران ) ولم تزل بقايا تلك الادوات والاسلحة منتشرة في كل مكان دلالة على ان العصر الصواني كان طويل المدة وانهُ وقع والناس منتشرون على وجه البسيطة او انهم انتشروا في مدتهِ . وكل ما نتج من الارتقاء في عصرنا الحاضر على اثر اكتشاف الآلات البخارية والكهربائية لا يقابل بالارتقاء الذي ترتَّب على اكتشاف المعادن لان ذاك جزء من هذا . ولولا اكتشاف المعادن وكيفية سبكها وعمل الادوات منها ما اخترعت الآلات الكهربائية ولا البخارية ولا ارتقت التجارة ولا الصناعة ولا الفلاحة

ومن المرجح ان اكتشاف النحاس سبق اكتشاف غيرهِ في بعض البلدان واكتشاف الحديد او الذهب سبق اكتشاف غيرهِ في البعض الآخر لان المعادن ليست موزعة على السواء في كل البلدان ولا على درجة واحدة من النقاوة . ولكن المرجح ان لم يكن المؤكد ان معادن التي توجد في الطبيعة نقية انتبه لها الناس قبلما انتبهوا لغيرها . وما من معدن يوجد منها من صنعهِ الا الذهب والنحاس والذهب الطبيعي اكثر انتشاراً من النحاس الطبيعي وان كانت مقاديرهُ قليلة فلا عجب اذا انتبه لهُ الناس قبلما انتبهوا لغيرهِ ولكنهُ لا يصلح لعمل الآلات والادوات لقلَّة صلابتهِ ولذلك لم يعن القدماء بهِ كثيراً . واقدم ما وصل الينا منهُ حلي صُنعت منهُ في مصر قبل المسيح بنحو الفين وار بعمئة سنة ولم يشع صك النقود منهُ الا في عهد اليونان والرومان